قراءة المشهد اليوم في ضوء الأمس (٤)

اليمن: التاريخ.. والجغرافيا.. القبائل والمذاهب

■ وعندما تبدأ الدولة بالتآكل والوهن تنتفض من حولها باحثةً لها عن مواقع أخرى إما في مناطقها أو على مستوى أوسع في نطاق الدعاة الجدد أو الدويلات الناشئة من رحم الأحداث وانهيار الدولة السابقة.

ولم تكن تلك الانتفاضات القبلية والمناطقية هي سبباً وحيداً لحالة الاضطراب والفوضى وسقوط الدول، وإنما كانت واحدة من أسباب عدة، فالمذهبية كانت المعادل الآخر الذي استخدم من كل الأطراف كأيديولوجية في ميدان الكفاح السياسي، لذلك نجد رواج الشائعات وانتشار الدعاية، والدعاية المضادة في ذلك الوقت تنطلق من ساحات الحروب لهزيمة الخصم وهزيمة مذهبه، مستخدمةً كل الوسائل الشريفة وغير الشريفة حتى اختلط الحابل بالنابل ولم يعد أحد آنذاك من العامة يقوى على التمييز بين الحقيقة والخيال في مجتمع يسود فيه الجهل والانعزال.

شائف علي الحسيني*

وقد جُرِّبت مثل هذه الحروب «الدعاية والدعاية المضادة» في ميادين المعارك فأعطت ثمارها وأصبح هذا السلاح عبر كل العصور مستخدماً لم تُطفأ أواره، بل إنه يسير إلى الأمام دون تراجع أو توقف حتى وقتنا الراهن، فقد أجدى وأوفى، فكان محل اهتمام لدى المتخاصمين وكلٌ حسب أخلاقه وفلسفته، إلى أي مدى يريد استخدامه لبلوغ غايته.

كانت الدولة الصليحية عرضةً لهذه الحروب من خصومها إلى درجة إخراجها من الملة الإسلامية، وكان الفقيه محمد بن مالك الحمادي اليامي قد شن حروباً دعائية على الصليحي ومذهبه مسخراً علمه وعمله هذا لصالح قوى متناوئة، فأصدر كتابه «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» يقول في بعض فقراته «فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته- أي الصليحي- ومخالطته والركون إلى قوله فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم، لقد سمعته مراراً يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه وزوال هذه الشريعة المحمدية، فأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام فأهلكك الله بذنوبه» (١).

كما قال عن مذهبهم «إنه مذهب الراحة، والاستباحة، يريح أتباعه مما تلزمه الشرائع في طاعة الله ويبيح لهم ماحظر عليهم من محارم الله» (٢).

علماً أن علي بن محمد الصليحي- كما يقول عمارة اليمني متوفّي (٥٦٩هـ) في كتابه (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) صـ٨٧ وهو من المعاصرين للصليحيين سني المذهب- «إنه كان دليلاً للحجاج على طريق السرات خمس عشرة سنة»- انتهى النص- بل إنه قتل في منطقة بتهامة تسمى «المهجم» قرب مدينة الزبيدية وهو في طريقه إلى مكة للحج مع أهل بيته وجماعته.. فكيف ينطلي مثل هذا الكلام على أناس لهم عقل يميز بين الحق والباطل، فأثار الدولة الصليحية لاتدل على مثل تلك الأعمال الشائنة التي تم وصفها بهم، فعندما قامت أروى بنت أحمد الصليحي بالأمر بعد زوجها، بَنَتْ المساجد وأقامت المعاهد الدينية ونشرت العدل والتسامح المذهبي وغير ذلك كما قامت بتوسعة الجامع الكبير بصنعاء وتزيينه وتصحيح عمارته، وكان اسمها منقوشاً في الأحجار ولكنه محي بفعل العصبية المذهبية..(٣).

وقد توالت الحملات على أتباع المذهب في العصور اللاحقة، ففي عهد الإمام الناصر عندما قُتل في منطقة شمال العاصمة صنعاء على يد أحد أتباع المذهب الإسماعيلي، قام الإمام شرف الدين وولده المطهر بمجزرة رهيبة عام ٩٣١هـ، فنكّل بأتباعه تحت حجج واهية وتبريرات مخالفتهم للإسلام وروجت ضدهم الإشاعات واستهدف فيهم القتل مما جعلهم يخفون أنفسهم ومذهبهم.. وتشتتوا في أصقاع الأرض في السند والهند ونجران هاربين من هذا الإرهاب الذي استهدفهم في كل مكان. (٤).

ومثلما تعرضت له الدولة الصليحية، تعرضت له دعوة علي بن الفضل ومنصور اليمن التي كانت سابقة للدعوة الصليحية، فقد ظهرت عام (٢٧٠هـ) فشنت ضدها الحروب الدعائية والمذهبية من كل الأطراف إلى حد إحراق مؤلفاتهم وكتبهم، وأصبح المؤرخون يستمدون كل ماقيل عنهم من خصومهم وتجسدت في ذلك تلك المقولة «إن التاريخ يكتبه المنتصرون ويكون ضحاياه هم المهزومون» فقد قيل عن علي بن الفضل بأنه أحل لأصحابه كل المحرمات كشرب الخمر والزنا وأنه من كان يقول عند مخاطبة الناس «من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل» (٥).

كما روجت عنه قصيدة ماجنة التي مطلعها: «خذي الدف يا هذه واضربي وغني.. الخ، يقول عبدالله البردوني في كتابه «اليمن الجمهوري» صـ٢٦ «إن أتباع الهدوية نشروا تفاسير للقرآن تأسيسه إلى الباطنية كما نسبوا قصيدة لعلي بن الفضل» المشار إليها، الذي لايقول فيها عاقل ولا مجنون عند قراءتها، وقد ردد خصومه كلمة (لعنة الله) عند كل حديث يخوضون فيه عن علي بن الفضل، فعلى سبيل المثال «كان الفقيه بن سمرة الجعدي- وهو محقق طبقات فقهاء اليمن- يلعنه في أغلب الصفحات ويعتبره كافراً خارجاً عن الملة، وقد أستندت أراؤه على من سبقه ولم يكن من معاصريه لأن ابن سمرة جاء بعده بما يقرب من ٣٠٠ سنة، فكيف تحقق من كفره وهو لايملك دليلاً دامغاً بما جاء فيه سوى ما كتبه خصومه عنه، فقد كان له خصوم مذهبيون وإقطاعيون خاصةً وهو القائل «الأرض لمن يغرسها» وهذه في الحقيقة هي إحدى إشكاليات كتابة تاريخ اليمن.. يقول الدكتور حسين فيض الله الهمداني في كتابه: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صـ٤٣

يجب الخروج من مأزق التمذهب

«ولا نتصور أن المجتمع اليمني يقبل برئاسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر لو كان ارتكب ما ينسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة، ويجوز أنه بالغ في يمنيته وتطرف في قحطانيته»..

لأنه بالفعل من غير المعقول أن يقود هذه الدعوة ويقيم هذه الدولة شخص يتصف بتلك الصفات الخارجة على كل الشرائع، مستنداً على مجتمع قبلي قوي بأعرافه متمسكاً بقيمه ومناصراً له لأجل الدين الذي دعاهم إليه وليس لشخصه كفرد، لقد انطلق من جبال يافع «سرو حمير» ثم امتد ليشمل البلاد كلها مكوّناً دولة كبيرة تشمل أغلب أجزاء اليمن.

يقول بهاء الدين الجندي في كتابه «السلوك في طبقات العلماء والملوك» صـ٢٠٠ جـ١ المتوفّي ٧٣٢هـ «ثم خرج عنها إلى بلد يافع فلقيهم رعاعاً فجعل يتعبد في بطون الأودية ويأتونه بالطعام فلا يأكل منه إلاّ اليسير لمن تحقق حاله فأعجبوا به وهم يسكنون برؤوس الجبال، فسألوه أن يسكن معهم فلم يكد يجيبهم إلاّ بعد مدة حتى ألحوا عليه فذكر لهم أنه ما يمنعه من مساكنهم إلاّ عدم امتثالهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرب الخمور والتظاهر بالفجور فحلفوا له على الطاعة وألاّ يخالفوه بما أمر فوعدهم خيراً وصاروا يجمعون له زكواتهم» ثم يخالف بهاء الدين أقواله في وصفه بالتقوى كما سبق أن وصفه ابن سمرة المشار إليه، بل إنه أضاف أن ابن الفضل عند دخوله صنعاء أباح المحارم وارتكب الآثام داخل بيوت الله وغيرها، وهو تناقض غير مبرر، كما اختلفت الروايات في هذه المسألة بالذات حيث يقول محمد بن مالك الحمادي وهو أصل المصدر في علي بن الفضل في كتابه «كشف اسرار الباطنية» صـ٩٥ «ثم خرج إلى سَر ويافع فتفرسهم فعلم أنهم أسرع الناس إلى اجابته فقطع رأس جبل وبنى فيه مسجداً وأخذ التنسك والعبادة فكان نهاره صائماً وليله قائماً فأنسوا إليه وأحبوه وافتتنوا به ثم انهم قلدوه أمرهم وجعلوا حكمهم إليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلاّ أن يعطوني العهود والمواثيق ألا يشربوا الخمر ففعلوا له ذلك، وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي الخ..»..

كما أن القارئ يلاحظ أن ماقيل في علي بن الفضل من الإباحية أيضاً قيل في الدولة الصليحية وأخذت هذه الإشاعات تسري في الناس مثل سم زعاف وتم تداولها نقلاً عن مصدر واحد دون أن يكون هناك ما يبرهن على ذلك مع ان الفرق الزمني بين الصليحي وعلي بن الفضل ما يقارب «١٦٠ سنة» تقريباً..

ربما أن ابن الفضل قد اجتهد فأخطأ وهذا احتمال، ولكن إخراجه عن ملة الإسلام أمر فيه نظر بل خطير جداً.

إن هذا ليس دفاعاً عن أحد إنما هو من باب التوضيح والإشارة إلى أهمية بل وضرورة التحري عند إصدار الأحكام على أشخاص أو مراحل تاريخية دون التحقق الكامل بما كان بالفعل قد حدث، فجميع المؤرخين في العصر الراهن يعتبرون الوثيقة ودراسة الواقع الاجتماعي وإجراء المقارنة والنقد واستخدام العقل في الاستنباط عند قراءة النصوص هي من أهم أدوات المؤرخ، حتى لايُزيِّف التاريخ وتصاب الأجيال اللاحقة بخيبة أمل وبأفدح الأضرار من جرائه.

الدعاية المضادة تروج لشائعات لا تتوقف

يقول نشوان بن سعيد الحميري- وهو من معاصري القرن السادس الهجري، الذي اكتوى بنار الصراعات المذهبية طوال حياته «يجب على العاقل التيقظ والتحرز والتحفظ من التقليد الذي هلك به الأولون والآخرون».. (٦).

ويقول نشوان مستشهداً برأي إبراهيم النظّام (وكيف نأمن كذب الصادق وخيانة الأمين، وقد نرى الفقيه يكذب في الحديث ويدلس في الإسناد ويدّعي لقاء من لم يبلغه)(٧).

لقد تكررت عبر التاريخ مثل هذه الأحداث بتكفير المذاهب بعضها البعض، وفي أحسن الأحوال كان المعتدلون منهم يعتبرون خصومهم كفار تأويل، كان الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣-٦١٤)هـ في حروبه ضد المطرفية وهي إحدى فرق الزيدية في القرن السادس الهجري يعتبرهم كفاراً، وكان يفتتح بلدانهم بلداً بعد آخر مستبيحاً كل شيء الأموال والأنفس، النساء والأولاد فيعتبرهم غنائم حرب، ونكّل بهم كل تنكيل خاصةً في «الهجر» التي كانت تعتبر عند المطرفية مقراً لنشر دعوتهم وعلومهم، فقاتلهم في هجرة سنح، ووقش بحضور «بني مطر حالياً» وهجرة الظهرين بعمران وهجرة قاعة في ثلاء وكوكبان وفي مسور والأهنوم وفي العديد من الهجر في كل الأرجاء وغيرها.

بينما تشير كثير من المصادر إلى أن جوهر الخلاف بينه وبينهم لايتعلق في الأساس بقولهم «إن الحياة اعتدال في الأغذية وتكافؤ في الأمزجة».. إلخ، إنما لقولهم ان الإمام ينبغي أن يكون أفضل أهل زمانه بصرف النظر عن انتسابه إلى هذا البيت أو إلى ذاك، فهو يقول فيهم في كتابه «شرح الرسالة الناصحة (بلغنا عن قوم ينتحلون التشيع في عصرنا هذا أنهم أحالوا الحياة إلى اعتدال الأغذية وتكافؤ الأمزجة وأحالوا الموت إلى اختلاف الأغذية وانحراف الأمزجة، وأن كل واحد من الأمرين يحصل للعبد نقيض مراد الحكيم جلّتْ قدرته وما لله سبحانه وتعالى في الحياة والموت لمن مات دون مائة سنة وعشرين سنة إرادة)..(٨)

بينما هم يقولون (إن قياس الإنسان مبني على أفعاله وأعماله وأنها التي تفضّله عن غيره من الناس، وأن الإمامة في من تتوافر فيه شروط العمل الصالح والسعي النافع في إقامة الدين والعدالة والمساواة، ولأن المطرفية لاتؤمن بالمطلق أحقية الإمام فقط في كونه من سلالة الحسن والحسين فإنها تفيده بما ملأته في السيرة للدين وتفسيره وفقاً لمضامينه، وليس له الحق في التحرر منه والخروج على ثوابته)، وفي هذين النصين المتعارضين تتضح طبيعة الخلاف السياسي.. وقد كان عبدالله بن حمزة شديداً في حروبه ضدهم حتى أوصلهم إلى حد وضع الزنانير على رؤوسهم ليتميزوا عن بقية المسلمين..

أورد أبو فراس بن دِعثم- وهو من رافق حروبه في أحد مواضع كتابه السيرة المنصورية صـ٨٩ جـ٢ (ولما طلبوا الذمة «يعني المطرفية» من الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وكان قد استورد في ذلك أمر مولانا الإمام عليه السلام، فأمره بأن يصالحهم على وضع الزنار ليكون علامة لهم، إذ الجزية لاتثبت على مشركي العرب).

وقد عملوا على هذا النحو العنيف في التعامل مع هذه الفرقة، فتشابهة الأمور في ذلك بما أتهم به السابقون وما اتهم به اللاحقون.. يقول شاعر الإمام عبدالله بن حمزة الشريف يحيى مكني القاسمي..

عن المطرفية ١- أبو فراس بن دِعثم السيرة المنصورية صـ٩١٦جـ٣

وقد قرأنا كتاب الله من صغر
حتى انتهينا إلى التأويل في الكبر
فلم نجد فيه إلا قتل بالفكم
وقتل ما دونه في الأي والسور
وسوف نسبي دراريكم ونملكها
ونشتري الخيل بالأنثى وبالذكر
اخزاكم الله في دنيا وآخرة
هلاّ اعتبرتم بمن دسنا من البشر
وفي قادم الدهر والباقي سنطحنكم
فيه ولكن كدق الملح بالحجر
مطرفية انتم مثل واردة
جاءت إلى البحر لم تعرف إلى صدر

وكما قال زيد بن علي الوزير في كتابه (مأساة التمذهب): «وهذه مبررات في قتل خصوم الرأي أعطت الحكام فتوى شرعية تجيز قتل من يرغبون في التخلص السياسي تحت تهمة مخالفة الإجماع، وليس هنا إجماع ولا ما يشبه الإجماع، ولكنها مبررات التسلط لتصفية الخصوم»(٩).

إن كتاب «مأساة التمذهب» هو بحق دعوى عصرية للحوار لتجنيب البلاد ويلات المذهبية بكل صورها، فقد جاء معتدلاً، يحمل روح التسامح والرؤية نحو المستقبل، وهو ما يجب تناوله وإعطاؤه قدراً من الأهمية وجعله ورقة حوار في هذا الاتجاه إذا كان هناك رغبة من جميع الأطراف في الخروج من مأزق التمذهب التي تعيشها البلاد.

فقد كانت الحروب الدينية والمذهبية- تحت شتى أنواع الدعاية التي يتقبلها المجتمع بسهولة لجهله، وفي نفس الوقت تجهيله- هي تعبير عن صراع سياسي وصراع مصالح تحت غطاء ديني.. وللحديث بقية..■

□ رئيس دائرة الثقافة

الهوامش

(١) محمد عبدالملك المروني- الثناء الحسن على أهل اليمن- صـ٢٥٩ - بيروت ١٩٩٠م.
(٢) حسين بن فيض الله الهمداني- -«الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن»- صـ١٠٨ -ط٢٠٠٤م
(٣) حسين بن فيض الله الهمداني، «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن» صـ(٢٠٦).
(٤) تحقيق محمد بن علي الأكوع «كشف أسرار الباطنية».. صـ٢٥ -مركز الدراسات والبحوث صنعاء ١٩٩٤م. (١)
(٥) حسين بن فيض الله الهمداني، «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن»- صـ٤٢ سلسلة مطبوعات وزارة الإعلام.
(٦) علي محمد زيد - «معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري»- صـ١١٠
(٧) «معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري».صـ١١٠
(٨) علي محمد زيد- «تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري»- صـ١٧٨ -المركز الفرنسي للدراسات اليمنية- صنعاء.
(٩) زيد الوزير «مأساة التمذهب» -صـ٤٢- ط ثانية ٢٠٠٣م - مركز الدراسات والبحوث اليمني.

الاشتراكي والتصفيق للوراء

محمد بن عبدات

■ حضرت جزءً من الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الرابع للحزب الاشتراكي اليمني بمدينة سيئون ومعي بعض الزملاء الاعلاميين وهناك في قاعة المجمع الحكومي التي عقد فيها المؤتمر وجدت منذ الوهلة الأولى لدخولنا القاعة نظرات استغراب تلاحقني وعندما اتخذت مكاناً في احدى زوايا القاعة سمعت همساً من الخلف يقول: «أيش جاب هذا الشخص» رغم أننا اعلاميين تحتم علينا المهنة حضور مثل هذه الفعاليات.. ولكن مازالت بعض العقول- وللأسف الشديد- لم تفقْ من غفلتها وتعرف أننا نعيش في عصر الحرية والديمقراطية وشفافية العمل والذي يستطيع من خلاله الواحد منا أن يستدرك مفاهيم وأبعاد الرأي والرأي الآخر وعلى ضوء ذلك بالامكان استخلاص المفيد.. ولكن عدم الايمان بهذا كله جعل هؤلاء النفر يعيشون في عزلة من أمرهم وهو الشيء الذي أبقاهم على تلك النظرة التي ورثوها من زمن الشمولية التي ألقت بظلال غير حميدة على جزء غال من وطننا اليمني الكبير مازلنا نعاني من ترسباتها الى يومنا هذا بعد أن أصبحت أفكار وشعارات تلك الفترة المظلمة أشبه بالعقيدة الى حد كبير عند البعض منهم.

بعض هؤلاء الذين يقومون ببث ثقافة الكراهية واشعال نيران الفتن بين أبناء الوطن الواحد ويروجون الاشاعات الحاقدة على منجز الوحدة العظيم التي تحققت بفضلة انجازات كبيرة ورائعة لم يكن يحلم بها مطلقاً المواطن المغلوب على أمره في المحافظات الجنوبية وهو الأمر الذي عرى حقيقتهم للملأ إلاّ أنهم ورغم ذلك لم يكتفوا بما اقترفوه بحق الوطن بل ظلوا ينهشون في اليد التي امتدت لهم بالخير.

وحتى لا نذهب بعيداً نعود الى ما حصل في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر اشتراكي سيئون الذي حضرته وجوه قليلة لا تمثل ذلك الثقل الاجتماعي السياسي رغم قدرتها واحترافها لمهنة البلبلة وإطلاق الاشاعات.. ولهذا كان التصفيق فاتراً لكلمة رئيس الكتلة البرلمانية للاشتراكيين عيدروس النقيب الذي دافع عن الانفصاليين.. وقال: لماذا نلوم الاصوات التي تطالب «بفك الارتباط» والعودة الى ما قبل عام ١٩٩٠م ونقول إنها خاطئة بينما هي تعبر عن صرخة لما لحق بها من باطل.. هكذا يغالط فأي باطل يتكلم عليه النقيب، فإذا كان يقصد ان هناك فساداً في وزارة أو دائرة حكومية أو مماطلة أو تسويف لقضية مافي إحدى المحاكم أو عدم الحلول السريعة والمنصفة لقضية ما.. فإنني هنا أضيف الى ذلك حاجة أخرى وهي التوزيع غير الصحيح لأراض سكنية وفدادين زراعية من أراضي أوقاف وصدقات وممتلكات خاصة من هيئة أراضي وعقارات الدولة في حضرموت والتي تسيطر عليها عناصر الاشتراكي وبنسبة كبيرة وذلك من أجل زرع الفتن وشق الصف وإلقاء اللوم على الدولة.. أما بقية القضايا فقد اعترفت الدولة بها وهي في صدد المعالجة المستمرة والحاسمة للقضاء عليها.

ولكن لا يعني ذلك أيها النائب الاشتراكي أن تلك المخالفات تجعلكم تحرضون على الانفصال والتشرذم.. فيا أيها النائب إن من صفق للعودة للوراء لن يستطيع أن يخطوا خطوة واحدة الى الأمام فراجع حساباتك لترشد نفسك وغيرك للطريق الصحيح.□

الدلالات السياسية والنفسية في خطاب البيض

■ صبغ المشهد اليمني في ٢٢ مايو ٢٠٠٩م مشهدين متناقضين، فالمشهد الأول يحتفل بعيد الوحدة التاسع عشر ويرفع خطاباً شاملاً واصلاحياً مذكراً فيه بأعظم انجاز حققه شعبنا وأمتنا العربية والاسلامية في فترة سادت الأمة العربية والاسلامية جروح وآلام كثيرة اثخنت جسمها وجعلتها فريسة تتنافس عليها الاطماع الأجنبية والمخططات الاستعمارية لتقسيمها وشرذمتها والعمل على افشال أي تقارب أو تصالح أو حتى تبادل تجاري اقتصادي بيني في عصر سمته شيوع التجمعات الكبرى والتكتل الجغرافي والاقتصادي والسياسي، فعصر الدولة الوطنية الفردية يحتضر لصالح التجمعات القومية والسياسية وشيوع العولمة وتخطي الحدود والدول، وانتهج هذا الخطاب الوحدوي عبارات وألفاظاً وتعابير واقعية وتاريخية وارتكز على ثوابت اجتماعية وسياسية، فالأمة اليمنية يجمعها شعب وارض ومصير واحد، وتتبنى خطاباً وطنياً مفرداته الحوار والتشارك في مواجهة الأزمات وحل المشكلات، وارتضى بالخيار الديمقراطي الذي يجعل الشعب مرجعيته ويقبل بقرار الشعب من خلال ممارسة ديمقراطية حضارية راقية..

أما الخطاب الآخر المناقض للثوابت الوطنية والقومية والإسلامية يدعو لتفتيت اليمن واعادة عقارب الساعة الى الوراء ويجتر احداثاً تجاوزتها حركة التاريخ والحضارة، ورفضتها الشعوب والأمم بعد تجارب مريرة مع ممارسات وسياسات قاتلة وقمعية، وسنقف في هذا المقال عند كلمة علي سالم البيض في مؤتمره الصحفي في ميونخ محاولين تحليل وتفسير دلالات ومعطيات هذا الخطاب وهذا التصريح مرتكزين على الثوابت اليمنية للبيض وحقائق التاريخ والجغرافيا للأمة اليمنية والعربية والاسلامية، وقد تطرقت القراءة للمواضع الآتية:

١- أسباب الاستفاقة المتأخرة:

وقف كثير من المحللين والمتابعين على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم وأوطانهم عند الاستفاقة الكبيرة والمثيرة بعد سبات استمر لخمسة عشر عاماً وتساءل كثير من النقاد: ما الذي أخرج العفريت من قمقمه بعد هذا الوقت الطويل؟ وتكاد تتفق أكثر المقالات على أن هناك أمراً دبر بليل وطبخ في مراكز الاستخبارات ومعاهد مشبوهة كانت وراء هذا التحرك، فصحيفة «الرأي» السودانية لم تقبل بالاستنتاج القائل أن التهميش والاقصاء يمكن أن يكون وراء هذه الدعوات الانفصالية، وذكرت أن اليمن مستهدف من جهات كثيرة، وأن استهداف اليمن إنما يأتي ضمن سلسلة طويلة دبرت بليل وأن السبحة سوف تكر حباتها وينفرط عقدها وستتجرع سمه كثير من الدول الخليجية والعربية..

شبكة ايران والقاعدة تبحث عن الفوضى والفراغ الأمني

مقال بعنوان «الوحدة اليمنية المفترى عليها» استقرأ كاتبه الأحداث التي مرت بها اليمن وجزم بالأيادي الاجنبية والحاقدة وراء ما تشهده الساحة اليمنية، وتناول الكاتب الأردني «عريب الرنتاوي» في صحيفة الدستور مقالة بعنوان «عن اليمن الذي كان سعيداً بوحدته» وصف أسباب تحرك الأزمة اليمنية والباعث على اثارتها من مرقدها بجهود مسمومة تبذل وتحركات اقليمية وتظهر أياد للاعبين محليين واقليميين يقفون وراء هذه الأعمال ويغذونها، وخص بالذكر دولاً اقليمية ذات مشروع خاص بها مسمياً ايران والقاعدة لأنهما يبحثان عن الفوضى والفراغ الأمني وهو الجو المناسب لعناصر وافراد هذه الشبكة، ويحق للقارئ أن يوافق أو يخالف هذه الاستنتاجات لكن لا يحق له أن يتجاهل دور القوى الاستعمارية والصهيونية ولاسيما عندما يرى تنامي الحس الوطني عند بعض القنوات الفضائية التي جعلت اليمن وجهة دسمة تقدمها للعالم، فهذه القنوات الاستخباراتية وان حملت مفهوم الحرية، فإنها لا تفهم من الحرية إلاّ تجريد الأرض العربية والاسلامية من أهلها وخلق الفتن والحروب فيها لتبث فكرها وسمومها تحت مسمى الحرية الرأسمالية، وتذكر أصحاب العقول بمشهد الحرب في غزة كيف تجاهلت هذه المحطات الشفافة والحرة والنزيهة مآسي الشعب الفلسطيني المستباح دمه وماله وعرضه من قبل الآلة الصهيونية والغربية، واكتفت بعرض برامج الموضة وأطباق الطعام وسباق السيارات والخيول.

٢- التركيز على الآخر والاستعانة بالأجنبي في خطابه:

الخطاب في طبيعته وموضوعه موجه الى الداخل ويخاطب ما يسمى بشعب الجنوب المضطهد والمظلوم حسب زعم قائله، لكن الصيغة الواضحة والمكررة والموزعة في كل فقرة في الخطاب وفي كل ثنايا الموضوع، إنما هي موجهة الى العالم الغربي والمجتمع الدولي ومؤسساته الأمنية والقانونية، فالبيض أراد استدرار عطف الحاكم الغربي والمؤسسات المتحكمة بالقرار الدولي وركز بقوة على مخاطبة هذا العقل الاستعماري حريصاً على اختيار الألفاظ والموضوعات التي تثير شهية شرطي العالم وتدعوه للتدخل المباشر والعسكري في اليمن، وتمكين بعض الأطراف من الحكم والتسلط والانتقام بارسال الآخر الى السجون ومعسكرات الاعتقال، فالمواضيع والفقرات مختارة بعناية وتنتقي الألفاظ التي تدل على الإرهاب بمعانيه المختلفة، وهي ذات تأثير خطابي ونفسي في فكر المجتمع الغربي، وقد رسم صورة خبيثة للحكم في اليمن بأنه نظام متخلف عاش في كنفه الإرهاب بدعم من النظام الحاكم ومن المجتمع القبلي، وقدم تصوراً عنصرياً للمجتمع الجنوبي بأنه شعب متحضر لن يقبل بالإرهاب فكرياً ولا سياسياً، كما استعمل ألفاظاً تدل على الديمقراطية والتصرف الحضاري الراقي بدعوته الملغومة للحوار مع التملص منه في الفقرة نفسها، وحاول لعب دور الضحية المظلومة والدعوة للانتصار للشعوب المظلومة، وكذلك دعا الى التذكير بالجرائم العرقية والطائفية، وركز في خطابه على الدولة المدنية العصرية، وغيرها من الألفاظ والتعابير الصريحة بدعوة المستعمرين السابقين للتدخل في مستعمراتهم السابقة.

٣- التركيز على الإرهاب وقضاياه وتخويف المجتمع الغربي من أضراره:

حاول البيض في خطابه إيهام الآخرين ولاسيما الوصي الغربي بأنه لا يوجد نظام وشعب في شمال اليمن وإنما هناك نظام إرهابي دموي متخلف وأنه لا يوجد شعب ذو ثقافة وحضارة عريقة تمتد لآلاف السنين وإنما هناك مجموعات بشرية قبلية هدفها القتل والخطف، وأن النظام الحاكم في الجنوب نظام متحضر وراقٍ وديمقراطي ومسالم قام بالتنازل لتحقيق الوحدة وإرساء دولة القانون لكنهم فوجئوا بعمليات القتل والاغتيال وتصفية المشروع الوطني الذي كان يرفعه البيض ورفقاه، اختار البيض هذه الصورة الوردية الرومانسية في مقاربته لقضية الإرهاب، وأكاد اقطع أن البيض يعلم بأنه لا أحد من أبناء الشعب اليمني يصدق هذه المقولة ولاسيما من أبناء الجنوب وهم أصحاب التجربة وأهل المأساة الذين ذاقوها على يد النظام العسكري الأمني الأيديولوجي الشوعي الذي يحاكم النيات ولا يسمح بالتنفس إلاّ بإذن حزبي، وهم لم ينسوا شعار «لا صوت يعلو فوق صوت الحزب» حتى ولو كان صوت حق، وأن الغرض الأساس من استعمال البيض لمصطلح الإرهاب هو مخاطبة العقل الغربي الاستعماري وتخويفه لدعوته لضم اليمن الى نظام الوصاية الغربي، فالنظام الغربي يعيش هاجس الإرهاب ويعاني من مس الإرهاب الذي جعله ينقض ديمقراطيته ويفقد صوابه ويجعل شعار مكافحة الإرهاب تقية لاحتلال الدول واعادة تقسيمها واضعافها لتكون اسرائيل هي المسيطرة سياسياً وفكرياً وعسكرياً في محيط من الدول المجزأة والضعيفة.

فائز سالم بن عمرو

قنوات فضائية استخباراتية تحرص على بث سمومها لإشعال الفتنة بين أبناء اليمن

البيض اختار ألفاظاً ليستعطف العقل الاستعماري ويدعوه للتدخل في شئون اليمن

٤- التمييز عرقياً وطائفياً وثقافياً بين شعب الجنوب والشمال:

ضرب البيض على الوتر الطائفي العرقي عند مقاربته للقضية اليمنية، فقد دأب على التفرقة بين أبناء الشعب اليمني الواحد وحاول خلق فوارق جينية وثقافية وأجتماعية وسلوكية بين أبناء الوطن والقبيلة الواحدة، ولاشك أن هذا الزعم لا يسانده معطى من تاريخ أو واقع أو أي مستند علمي أو جغرافي واجتماعي، فالبيض لم يكتفِ بتشويه اليمن وتلطيخ صورة الوطن ومحاولة تشويهه واظهاره على أنه يضم رعاعاً لا رأي لهم ولا ثقافة ولا تحضر بل بالغ جداً في دعواه بأن هناك شعبين من معدنين مختلفين لا يمكن أن يلتقيا، فهو يوهم الغرب الذي يحرص على توجيه خطابه لهم بأن الجنوب مشرد لا ملجأ له ولا يجد لقمة العيش وأن الجنوب يعيش بلا هوية ولا كرامة ولا حضارة واذا أرادوا تغيير هذا الواقع البشع فإن الدولة تقوم بالهجوم عليهم بالطيران والدبابات والصواريخ وتبيدهم، وهذا الكلام يؤكد بأن البيض لم ولن يكون هدفه من الخطاب المواطن في الجنوب وإنما يشخص ببصره الى اسماع المجتمع الغربي، فالكلام من أوله الى آخره موجه الى ولي الأمر الذي يسكن ويمرح في بلاده.

٥- غلب على خطاب البيض الجو العاطفي الشديد

فقد اعتمد على الترغيب والترهيب في عرضه للقضية اليمنية، حيث استفاض في تصدير الرسائل العاطفية ابتداء من اقتباسه ألفاظاً عاطفية جياشة مثل قوله: لا اكراه في الحب، ومن رسائله العاطفية الاعتذار للجنوب من إرث الماضي الثقيل واعتباره ما حدث كان في سياق جو عالي فرض الاقتتال بين الرفاق.. اظهار نفسه بالرجل المضحي الصادق المخدوع وتقمص دور الضحية، وكذلك من دعواه الزهد بعد تحرير الجنوب كما ادعى.. وهذه لغة موجهة للداخل ومقصودة العبارات والتراكيب.. وقد واكبت هذه اللغة العاطفية الرقيقة لغة تخويفية تخوينية اتهامية من اتهامه للشعب اليمني وحكومته وتجربته الديمقراطية بأوصاف بغيضة وعنصرية وطائفية وغير حقيقية لمخاطبة الآخر الغربي بشكل عام والعربي بشكل خاص بأن نظامه الموعود سيكون مسالماً حضارياً منفتحاً على الدول العربية ويحفظ لها حقوقها واستقرارها.

٦- الدعوة للديمقراطية بالدعوة الى الاستفتاء والالتجاء الى الشعب:

خطاب البيض كان خطاباً كبيراً وواسعاً تطرق الى كثير من القضايا بل إنه ارتكز في قراءته على احداث الماضي ووقائعه وحاول استجرار الاحداث السابقة الماضية الأليمة واسقاطها على الواقع وحشرها ودسها بالأحداث الحالية بالقوة، على الرغم من استفاضة هذا الخطاب وكثرة الدلالات والقضايا التي عالجها، فإن البيض لم يذكر المشكلة ولم يأت بحل لها، فهو يلمح بالحل والعلاج فما يلبث في آخر العبارة إلاّ بالهروب الى نقيض ما استنتجه وما قاله، فقد دعا البيض الى الحوار باعتباره الحل الحضاري الراقي والمتوافق مع الفكر الغربي، إلاّ أن الحوار المقصود عنده لا يكون إلاّ برعاية دولية وبتدويل قضية اليمن في المحافل الدولية وفتح باب التدخل والمساومات في سوق النخاسة الدولية، وهو اذا اعترف بالحوار فليس له سقف محدد، أي المطالبة بالحوار لأجل الحوار والأصح لأجل التدويل واتاحة التدخل الأجنبي والدولي والعربي، فالحوار عنده مناورة استراتيجية وليس مفهوماً أصيلاً وراسخاً■